العانس

أماني جميل - مصر

لم أُدرك يومًا أنني لا أفقه شيئًا وأنَّ هناك ما هو أصعبُ من سقفِ طموحي الذي يغامرُ على اسمي على صفحاتِ المجلّات أو الجرائد باعتباري صحفيةً مبتدئةً؛ فكل مشاكلي هي كيف أصلُ بسرعةِ البرق .. ولكنْ هل حقًّا لديّ مشاكل؟ لا أعلم ولكنني دائمًا أنظرُ لمن حولي بمنظورٍ آخر وأرى أنني لا يوجد مثلي على الكون .. هل هو شعورٌ بالأنانية أو ثقةٌ بالنفس أو غرورٌ!؟

لا أعلم، ولكن بعد ما سمعته ورأته عيني حين طلب مني رئيسي في العمل أن أقوم باستطلاع آراءٍ عن نِسَبِ الطلاق في محكمة الأُسرة، ولماذا تتكاثر أعدادُ المُطَلَّقات .. وكان يجب عليَّ أن أختار موضوعًا يلفت الانتباه وأكثر تشويقًا .. هل حقًّا أنا تافهةٌ إلى هذا الحدِّ أم أريد لفت الانتباه لمقالتي!؟

وبادرتُ سريعًا في اليوم التالي إلى المحكمة .. وظللتُ طوال اليوم أسمع ما لا أذن تسمع، ورأيت ما لا عينٌ رأت!

وفي وسط ذلك الزحام .. رأيتُ ما أدهشني؛ امرأة تَعَدَّتْ الثلاثين، متزوّجة منذ فترةٍ قصيرةٍ وقفت أمام القاضي تحكي حكايتَها برفع دعوى على زوجِها؛ إنها تريد أن تُطَلَّقَ منه .. وكان سبب رفع الدعوى أنها امرأة (عانس)!

أذهلني الردّ: "وهل هذا سبب كافٍ لكي تطلَّق أو يقبل القاضي دعوتَها".

نعم قالت أنها امرأة تعدّت الثلاثين ولم تتزوج، وفى المنزل بين الحين والآخر يقولون لها لقد فاتك (قَطْرُ الجواز) وكأنني عدوى أو شيء يخافون ن أعديهم!

وبعد ذلك تطور الأمر وأصبحتُ يقال لي أنني (عانس) .. مجتمعٌ ذكوريٌّ غبيٌّ .. وأصبحت مثل المصابة بِعَفَنٍ .. لا أحد يقرب مني أو يفتح معي حديثًا .. أصبحتُ حديث العائلة؛ ينهكونني بأقوالهم الفارغة .. ولكن ما أنهكني أكثر هو كلام أبي وأمي .. كيف يخذلونني أمام نفسي وأمامهم هكذا!؟ كيف ينهكوا نفسي!؟ كانوا هم سبب وجودِها في المحكمة؛ فما كان لي سوى الاختيار؛ هو أنني أتزوّج أي شخص يتقدم لي للزواج!

وبالفعل حدث ما أرادوا .. فأول من تقدَّم لي للزواج؛ وافقتُ عليه رَغْمَ وجودِ اختلافاتٍ بيننا .. كنت أنا أعلى دراسيًّا وأخلاقا .. كنت أختلفُ معه في كلِّ شيء وتنازلتُ معه عن أشياء كثيرة الشرعُ أعطاها لي .. أَجَل، إنه استغلَّ السُّمْعَة التي وضعها لي أهلي؛ أنني امرأة (عانس) .. وبدأ بوضع شروطِه كأنه هو المرأة وأنا الرجل .. ووافقت كي أُنهي مهزلة تُنْهِكُني كلَّ يوم وتُطفئُ روحًا لو أردتُ أنا مصيرها فسأريد أن يُبيدها الموتُ وتنتهي .. ولكن إرادة الله دائمًا كانت الحدَّ القاطع بيني وبين تلك الأُمْنِيَّة!

وتنازلتُ وتزوجتُ معه في بيتِ أُمِّه .. وبدأت مرحلةٌ جديدةٌ من عمري .. مرحلة التعاسة؛ فأنا ما كنتُ له سوى خادمةٍ أو أقلّ .. امرأة بجسدٍ تُلَبِّي احتياجات رجل ليلًا، وخادمة له وأمه نهارًا .. وانهالت عليَّ الإساءات والضرب، وبدأ بسبِّي يوميًّا وأصبحتُ (عانس) في بيت أهلي .. و(عانس) في

بيت زوجي .. فدائمًا يقولُ لي: "لقد تزوجتك لكي أُنقذك من العنوسة؛ فاحمدي ربك أنني قبلت بزواج امرأة مثلك".

كدت أقتل نفسي!

وحين تأخرتُ عن أكون أُمًّا فأصبحت عاقرًا لأنني (عانس) .. انهالت الإساءات!

ولا أُدرك؛ أهذا قَدَري أن أُعذَّبَ؟ .. ولجأت لأهلي، وكانت تنهالُ أسئلة بلا منطق؛ كيف أُطلَّقُ وأنا تزوجتُ في الثلاثين!؟ عيبٌ عليَّ رغم أنني أُعذّب يا سادة!

فقدتُ إنسانيّتي وفقدتُ آدميتي مع رجل أصبحتُ معه دُمية .. لا حقَّ لي أن أصرخ أو أعترضَ على شيءٍ؛ فأنا مُجَرَّدُ جمادٍ؛ آكلُ وأشربُ فقط وأُلَبِّي رغبات رجل .. أما هو فمن حَقِّهِ أن يذهبَ لعمَله كل يوم، ويسهر مع أصحابه .. من حقه أن يرافق النساء ويتحدث معهنَّ .. من حقه أن يخرج ويعمل ويحقق ذاتَه ..

وأما أنا فجردني من كلِّ شيءٍ حتى أصبحتُ امرأةً بنصفِ روح؛ لا أدري هل لي الحق أن أعيشَ أم أتمنى الموت .. تركتُ عملي من أجلِ أن أكون زوجةً تهتمُّ بزوجِها، وقبل ذلك عليَّ أن أُشارك ببيتي؛ فهذا ما اعتاد عليه آباؤنا وأجدادُنا .. وبعد ذلك أهتمُّ بزوجي وبيتي .. ممنوع الخروج أو يكون معي أي مال خاص؛ فأنا آكل وأشرب مثل الحيوان، أنا لا شيء سيدي .. أنا امرأة

(عانس) عوقبت من المجتمع، ومن أهلي، ومن زوجي .. هل لا يحقُّ لي أن أرفعَ دعوى أمام المجتمع والعالم أطالب بآدميتي!؟

كنتُ مصدومةً من سماع ما تقول .. أردتُ أن أصفعَ كلَّ من عاشت معهم! هل هذا ذنبٌ تُعاقبُ عليه؟ إنَّها امرأة الثلاثين ..

كدتُ أَسُبُّ غروري وتفاهتي .. أين أنا من واقعٍ مريرٍ!؟ .. أنا أعيشُ داخل فقاعةٍ سيأتي يومٌ وستنفجر بوجهي!